

DOI: 10.54240/2318-012-002-007

المدرج الروماني حلبة للألعاب أم مكان للتعذيب Ad bestias.Ad gladium .

The Roman amphitheater is an arena for games or a place of torture.

اسم ولقب المؤلف المرسل فاضل لخضر- Fadel Lakhdar
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر- الجزائر.
البريد الإلكتروني: lakhdar.fadel@univ-mascara

تاريخ استقبال المقال: 2022/05/30... تاريخ المراجعة: 2022/06/05... تاريخ القبول: 2022/06/27...

الملخص: كان المدرج الروماني من أهم المنشآت الترفيهية التي أقامها الرومان في النسيج الحضري للمدن إلى جانب المسارح والحمامات وحلبات السباق للتنفيس عن مكبوتات الحياة اليومية، والتمتع بمباهج الحياة، وكان المدرج يحتضن العديد من العروض والألعاب على رأسها مباريات المصارعين، وقتال الحيوانات المفترسة التي كانت تمنح الناس متعة المشاهدة، وفرصة لتشجيع الأبطال المفضلين لديهم من المجالدين، غير أنه خلف هذه الصورة النمطية الجميلة لوظيفة المدرج الروماني كمكان للترفيه والترويح عن النفس، تقبع في الظل صورة أخرى يظهر من خلالها هذا المدرج كمذبح يقتل فيه الناس، ويعذبون ويذبحون، وينكل بهم، وتنتهك إنسانيتهم بحجة إرضاء الجماهير واستمالتها، ومنحها مشاهد تتلذذ بها.

إن هذه الوظيفة التعذيبية للمدرج وثقتها المصادر على اختلاف أنواعها، وهي تثبت أن قدمها قدم المدرج نفسه، ومست ضحايا من مختلف الشرائح الاجتماعية والأصول العرقية، ولم تفرق بين امرأة ورجل، وبين وثني ومسيحي، وإن كانت وطأتها أشد على الصنف الأخير لاعتبارات دينية وسياسية، واستمرت طيلة العهد الروماني رغم ارتفاع عدد من الأصوات المناهضة لها والداعية إلى وضع حد لها.

الكلمات المفتاحية: المدرج: المجالدون: نيرو: المسيحيون: التعذيب: أدريانوس: الحلبة: فيناتيو: الإعدام: التعذيب.

Abstract: *The amphitheater has always been considered as a symbol of excellence and a mark an indicator of the life of leisure and entertainment in which the Roman people lived. Thus, organizing horse races, gladiatorial matches, as well as fighting fierce animals on the track were the most important games that took place in the arena. The organizers of these recreational games, in the capital (Rome) or in the provincial cities, were receiving facilitation and support from the Roman authorities, considering that these entertainments are a manifestation of the Roman civilization and one of the means of the civilizational Romanization of the peoples subject to the Roman occupation.*

The archaeological data such as tombstones, mosaic panels, oil lamps, coins, seals and pottery of all kinds as well as the texts of the writers, the historians, the orators, the poets and even some legislative documents present us an ugly and inhumane image of the Roman amphitheater because of was going on in it during The Roman era, whether in Italy or in the provinces of the Roman Empire.

Keywords: amphitheater; gladiators; Nero; Christians; torture; Adrianus; the Arena; venation, damnation; supplicia.

مقدمة: عُدّ الملعب المدرج (Amphitheatrum) رمزا للتفوق وعنوانا لحياة الترفيه والتسلية والمسرات التي كان يحيا فيها الشعب الروماني، وكان تنظيم مباريات المجالدين، وقتال الحيوانات الضارية من أهم الألعاب التي كانت تجرى في الحلبة، وكان المتعهدون لهذه الأنشطة الترفيهية يتلقون التسهيل والدعم من السلطات الرومانية في العاصمة روما أو في مدن المقاطعات باعتبار أن هذه المسليات تعد مظهرا من مظاهر الحضارة الرومانية، وأحد أدوات الرومنة الحضارية للشعوب الخاضعة للنير الروماني.

إن الصورة التقليدية للمدرج كفضاء للتسلية والمرح وتمضية الوقت والهاء العامة عن الأزمات السياسية، وصرفها عن مشاكل الحياة اليومية تصطدم بحقائق أخرى تطالعنا بها المصادر الأدبية والأثرية؛ فكتابات الأدباء والمؤرخين والمفكرين والفلاسفة والخطباء والشعراء، وحتى النصوص التشريعية، علاوة على معطيات الآثار مثل شواهد القبور واللوحات الفسيفسائية والمصابيح الزيتية والنقود والأختام والفخاريات بكل أنواعها تقدم لنا وجها بشعا ولا إنسانيا للمدرج الروماني وما كان يدور فيه خلال الحقبة الرومانية سواء في إيطاليا أو في المقاطعات التابعة للإمبراطورية الرومانية.

فالوظيفة العقابية للمدرج كمكان للتفنن في تسليط أقصى أنواع العذابات (Supplicia) وأشدّها على من ساقه حظه السيئ لدخولها بسبب جرم أصابه أو دفاعا عن عقيدته أو

رأيه السياسي، أو معاداته للرومان وثورته عليهم أو لأي سبب كان، توثقها المصادر المعاصرة المؤيدة لها المدافعة عنها كأسلوب في الحياة، أو المناهضة لها مثل الكتابات المسيحية التي حاربت منذ ظهورها المدرج وكل القيم اللانسانية التي يمثلها، ودعت الناس للانصراف عنه، والامتناع عن الحضور إليه، وتشجيع المصارعين- خبراء القتل وأعداء النفس البشرية- الذين كانوا يعدون أبطالاً حقيقيين في نظر المجتمع، ونال بعضهم شهرة انتشرت في ربوع المقاطعات الرومانية.

وجوهر السؤال الذي نطرحه في هذه الدراسة يتمحور حول ما إذا كان المدرج الروماني فعلاً مكاناً للقتل المباح، كما تصوره المصادر القديمة المؤيدة أو المعادية له، أو يمكن ببساطة اعتبار أن الناس في العصور الرومانية (ملكية- جمهورية- إمبراطورية) لم يكونوا يرون فيه أكثر من مكان لمشاهدة عروض القتال كما يشاهدون العروض المسرحية.

من بين الفرضيات التي سنبينها هل يمكن أن نعد دفع أشخاص لا علاقة لهم باحتراف المصارعة، وقتال الحيوانات الضارية إلى حلبة المدرج ليلقوا حتفهم بأبشع الطرق على يد المصارعين أو الضواري جزءاً طبيعياً من العروض المقدمة فيه. وهل كانت مناهضة المدرج كمكان لتعذيب الأشخاص أو حتى الحيوانات بدعة مسيحية، أم سبق كتاب وثنون إلى شجيتها ومعارضتها من منطلقات إنسانية وفلسفية، وأن غاية ما هنالك أن الأساقفة المسيحيون بمؤلفاتهم سلطوا عليها الضوء أكثر من غيرهم لأن شهادتهم الأوائل، ومنهم أساقفة ورؤساء الكنيسة قضوا نحبتهم، ونالوا الشهادة على أرضية الحلبة في قرطاجة وقيصيرية وافسوس وأنطاكية وروما وغيرها....؟

إن من أهداف هذا البحث تحديد إلى أي مدى تعكس صور التعذيب النمطية في الفسيفساء والأواني الفخارية وجداريات منازل الأثرياء لأشخاص قطعت رؤوسهم أو مزقت أجسادهم إلى أشلاء بسيوف المجالدين، أو افترستهم السباع المختلفة بعدما ربطوا إلى أوتاد وصلبوا أو حملوا على عربات، وتركوا عرضة لهجوم الثيران البرية والدببة والفهود والأسود والخنازير البرية، وحتى الفيلة الهائجة نية إيذاء أولئك الأشخاص قصداً، أم أن ذلك كله جزء طبيعي من العرض المقدم للجماهير لا غير، وتحديد عما إذا كان إلحاق الأذى الجسدي

والعذاب النفسي بالضحايا قبل قتلهم كان ضروريا لاستثارة الجماهير وحملها على المتابعة، وتشجيع العرض بالهتاف والصياح، والمطالبة بالإجهاز عليهم بدل طلب الرحمة لهم؟ من أجل الإجابة على هذه الإشكاليات المطروحة اتبع في هذه الدراسة المنهج القائم على توظيف واستقراء معطيات مختلف المصادر الأدبية والأثرية التي تناولت الموضوع سواء كانت مؤيدة أو مناهضة له.

1- أصول التعذيب في الملعب المدرج ودلالته في المجتمع الروماني: كانت الألعاب الرومانية في المدرج عنوانا للترفيه والتسلية عن الجماهير وتنفيذا عن مشكلات الحياة اليومية، كما اعتبرها الأباطرة الرومان وسيلة فعالة لربط شعب روما بالسلطة الحاكمة والدعاية للإمبراطور الحاكم، ويعد عهد دوميتيانوس من أكثر العهود الرومانية التي كثر فيها تنظيم ألعاب السيرك ومباريات المجالدين وقتال الحيوانات البرية فيما بينها أو ضد المصارعين.¹ تطرح دراسة التعذيب في حلبات المدرج الروماني أثناء إقامة مختلف أنواع الألعاب والمباريات فيه العديد من المشكلات التاريخية والمنهجية رغم وفرة الوثائق النصية والأثرية المرتبطة به. على رأس هذه الإشكالات نظرتنا نحن كمعاصرين حيال ما كان يجري من تعذيب وقتل وتنكيل بالضحايا في الحلبة مهما كان جرمهم وطريقة تعاملنا مع المصادر التي تناولت الموضوع من وجهة نظر المجتمعات القديمة التي لم تكن تجد من الناحية النفسية أي غضاضة في حضور ومشاهدة ذلك القتل بالجملة، وعلى المباشر لأشخاص لأسباب شتى، بل والتحريض على أشد أنواع القتل بالهتاف والتشجيع.²

لقد عُذ إعدام الأشخاص في حلبة المدرج أمام منظر جماهير المدينة إشراكا لها في تنفيذ العقوبة على المحكوم عليهم سواء بيد المجالدين (damnati ad gladium) أو الحيوانات المفترسة (damnati ad bestias). وأول إشارة في النصوص القديمة إلى التعذيب على يد الحيوانات في حلبة المدرج أثناء الألعاب المقامة عام 167 ق.م³، ومما يلاحظ في

1- Vismara Cinzia- Domitien spectacles supplices et cruauté- In Pallas-40-1994- pp 413-420.

2- Vismara Cinzia- L'amphithéâtre comme lieu de supplice- *Spectacula I. Gladiateurs et amphithéâtres*- Actes du colloque tenu à Toulouse et à Lattes les 26, 27, 28 et 29 mai 1987-Claude Domergue Christian Landes, Jean-Marie Pailler –éditions Lattes-Imago- 1990- p. 253.

3- Valerius Maximus- Actions et paroles mémorables ,II, 7-14-Editions Garnier- Paris-1935.

عملية التعذيب أنها كانت منذ نهاية القرن الأول الميلادي تتم حسب الوضعية الاجتماعية والقانونية للأشخاص المعرضون للتعذيب؛ فالأحرار من الأشراف كانوا يقتلون على يد المصارعين، أما العبيد والمعتقون والأفراد من طبقة العامة، ومن يعدون أعداء فكانوا يلقون إلى الحيوانات البرية¹، وكان الموت بسيوف المجالدين يحدث في منتصف النهار بين عروض قتال المصارعين والحيوانات البرية (Venatio matutina) الصباحية وعروض المجالدين (munus gladiatorii) بعد الظهر².

2- الفئات المعنية بالتعذيب: كان التعذيب يمس فئات أخرى على غرار الفارين من ذوي الأصول الأجنبية من الجيش الروماني أثناء الحروب وأسرى الحرب من الأمم المغلوبة، ونذكر هنا بالألعاب التي نظمها القنصل الروماني بولوس أيميلْيوس عام 167 ق.م، والتي رمي فيها الفارون والأسرى إلى الفيلة التي داستهم بأقدامها، ويبدو أن هذه العادة استمرت إلى غاية القرن الرابع الميلادي في عهد الإمبراطور قسطنطينوس الأول الذي رمى بأعداد هائلة من الأسرى الفرنجة والبروكترين إلى الأسود والنمور والدببة والخنازير البرية لدرجة أن هذه الأخيرة أعيها افتراسها لهم³، ورغم انتشار القيم المسيحية الداعية لاحترام حياة الإنسان والتسامح، حافظ الأباطرة المنتصرون على عادة التضحية بالأسرى الوثنيين مثل شعب السرماطيين عام 384 في المدرجات لإسعاد الجماهير المسيحية، وكنوع من الانتقام لما جرى على المسيحيين الأوائل على يد الأباطرة الوثنيين⁴.

وتزخر اللوحات الفسيفسائية بعدد المشاهد التي تظهر مختلف حالات التعذيب والإعدام في الحلبة، والتي يبدو أنها كانت تزين الأرضيات والجدران في منازل (Domus) وقصور الضياع (Villa) لدى الأغنياء وكبار الملاك الذين كانوا يحرسون على أن يشاهد ضيوفهم هذه المناظر كنوع من التسلية والترفيه لهم، ويتساءل المرء بالنظر إلى حالة اللوحات عما إذا كانت مشاهد الفسيفساء تعكس مناظر التعذيب بنوعها، سواء تلك التي تجري في الصباح (uenatio)، أو تلك المقامة في فترة ما بعد الظهر (munus)، على ما جرت

1 -Paul Kruger - Codex Justinianus- IX,18,1-Edition Kruger-Berlin-.1967.

2- Senèque – Epistulae-VII, 4- Traduction nouvelle de Jean Baillard –Hachette- Paris-1861.

3- Panegyrique de Constantin –XII-23-3- Brigitte Muller Rettig –Frank Steiner- Stuttgart- 1990.

4 -Symmaque –Epistulae- X,47- Texte traduit et établi par Jean-Pierre Callu -Tome IV- Livres IX-X -Les Belles Lettres- Paris -2002.

به العادة عند الرومان، ومع ذلك فإن التعايش بين (munus) و(uenatio) مع الإعدام على يد الحيوانات البرية (damnati ad bestias)، لم يعثر على تأكيد لها سوى بمقاطعة طرابلس من بين المقاطعات الأفريقية الأخرى¹.

إن الدراسات خلصت إلى أن الأفارقة كانوا يعتبرون إلقاء المحكوم عليهم إلى الحيوانات المفترسة على أنهم ضحايا للمعبود ساتورنوس الإفريقي، ذلك على الأقل ما تدل عليه وثائق استشهاد فليكيثا، وبريتوا في حلبة المدرج عام 203م بمناسبة عيد مولد جيتا ابن الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، حيث رفضتا هما ورفاقهما ارتداء زي كهنة الإله ساتورنوس والإلهة كيريس حيث حاول الجنود عند وصولهم إلى باب الحلبة إجبارهم على ارتداء زي كهنة ساتورنوس للرجال، والكاهنات المكرسات لكيريس للنسوة، لكن حتى الموت، هذه المرأة النبيلة دفعته بعيدا بعناد، على أساس هذه الرواية تبني (M. Le Glay) مارسيل لوغلي نفس الفرضية: الصيد وخاصة استخدام الحيوانات من قبل أتباعهم الأفارقة الخادعون والمضحون لتحويل الجماهير عن المصارعة، وهو أمر مشهور جدًا في أماكن أخرى².

وبغرض تمجيد المسيحيين الذين قتلوا في حلبة المدرج وسالت دماهم على أرضها شبههم ترتوليانوس بالمصارعين³؛ فنحن إذا نفهم على ضوء النصوص بشكل أفضل حقيقة موقف الرومان حيال المصارعة، واستخدامها كأداة ووسيلة للتنكيل بالضحايا؛ إذ يمكن تلخيصها في ثلاث أو أربع جمل: كان لدى غالبية المتفرجين ضمير مرتاح؛ ومع ذلك وجدت أقلية من الأشخاص الحساسين اعتبرت أن تعذيب الضحايا على يد المصارعين تجربة قاسية؛ كما كان هناك رد فعل عام: كان الناس يميلون إلى الشفقة على الضحية المذبوح

1- Cinzia Vismara -Amphitheatralia africana-In: Antiquités africaines- 43,2007- L'Afrique du Nord de la protohistoire à la conquête arabe- p.114.

2- Hugoniot Christian- Saint Augustin et les spectacles de l'amphithéâtre en Afrique romaine- In Histoire de l'art- N°17-18-1992- p12-13.

3- Tertullianus- Ad martyras, I,2- Traduit par Liette Réau- Connaissance des Pères de l'Église-71- [Éditions Nouvelle Cité](#)-Paris-1998.

أكثر من المعتاد، أما بالنسبة للمتعة التي تمتع بها معظم المتفرجين؛ فقد كانت أكثر اعتدالاً مما قد يفترضه المرء، لأن معارك المصارعين بالنسبة لهم لم تكن سوى مبارزة طبيعية.¹

3- نظرة المعاصرين إلى المدرج كمكان للتعذيب:

1.3- نظرة النخبة الرومانية: لقد نظر الرومان الوثنيون إلى المجالد نفسه بنفس نظرتنا إليه أي مثل جزار يقتل الناس ويعذبهم لإسعاد المتفرجين، وحسب المؤرخ أرنوبيوس (Arnohe)، فإن المدرجات كانت في نظر معاصريه مثل المسالخ (macella)، حيث دماء الحيوانات المذبوحة أو ضحاياها من البشر تدنس أيدي وأرواح المشرفين على عمليات القتل، وبالنسبة إليه كان دم المصارع دنسا بالنسبة للمتفرجين.²

وتطور هذا الحس بالفظاعة اتجاه تعذيب الناس في الحلبات لدى الأسقف الإفريقي لاكلانتايوس الذي نقل هذا العمل اللإنساني من فكرة النجاسة إلى فكرة الخطيئة، وأن يتذكر عبارة لا تُنسى لسينيكا التي تحدثت بمرارة عن السعادة، وقال: إن الإنسان يجب أن يكون مقدساً للعالم³، وهو ما يكرره لاكلانتايوس بطريقته الخاصة: الوصية التي تقول: "لا تقتل" لا تتضمن أي انتقاص، لأن الله أراد أن يكون الإنسان كائنًا مقدسًا لا يتهتك.⁴ ولذلك اعتبر المتفرجين شهودا متواطئون (socius) مع المجالدين على جريمة القتل، يشجعونهم بصرخاتهم، ويحرضونهم أثناء العروض، ويؤججون فيهم الرغبة في القتل وتعذيب العُزْل والتكيل بهم.⁵

لقد صدر قانون حوالي عام 177م من قبل الإمبراطور ماركوس أوريليوس وقسيمه لوكيوس فيروس ("قانون Italica الشهير) يخضع عروض المجالدين للترخيص الإمبراطوري، لكنه كان يهدف قبل كل شيء إلى إيقاف سيل دماء الضحايا، ولكن إلى الحد من إهدار المصاريف والنفقات المدمرة التي تتطلبها تنظيم تلك العروض، ومع ذلك لم يشارك عدد لا

1- Veyne Paul -Païens et chrétiens devant la gladiature- In M.E.F.R.A -Tome 111-n°2- 1999- p 889-890.

2- Arnohe- Adversus gentes- II, 41 -Patrologia latina, 5, col. 875- Sur l'interdit juif des viandes saignantes (Genèse, 9, 4); Tertullien -Apologétique-9- 13-Traduction Jean-Paul Waltzing- Librairie Bloud et Gay- Paris-1914.

3 -Sénèque, Epistulae,LXXXV-33-Traduction Jean Baillard-Librairie -Hachette-Paris-1861.

4 - Lactance- Institutions divines- VI, 20. Introduction texte critique traduction par Christiane Ingremau,-Éd du Cerf- Paris- 2007.

5 - Veyne Paul -Païens et chrétiens devant la gladiature -p904.

يستهان به من الناس في تشجيع عمليات التعذيب والقتل داخل المدرجات. لقد كتب الشاعر كيكيرو (Cicero) من جانبه حول هذه الظاهرة بكل دقة: "يحب بعض الناس أن يقولوا إن هذا العرض قاسٍ وغير إنساني، وهي شهادة قيّمة لأنها من أحد المعاصرين، وتكشف خلف الواجهة المؤسسية عن تنوع ردود الفعل الفردية، إما من خلال الأخلاق الرفيعة أو رفض التنكيل الجسدي بالآخرين، وحين يكتب أحد أعظم خطباء عصره بأن قطاعا واسعا من الجماهير لم تكن تتحمل جدا رؤية الدم، وأن الكثيرون يغمضون أعينهم أمام منظر الجروح التي يسببها المصارعون؛ فلا ريب أن هذه الشهادة تعكس رد فعل الناس الراض لاخذ حلبة المدرج مقصلة للتخلص من الأعداء أو المحكوم عليهم¹.

2.3- نظرة رجال الدين المسيحيين: هذا عن النخبة الرومانية الوثنية، أما رد فعل رجال الدين المسيحيين؛ فيكتب الأسقف كيريانوس في رسالة إلى أمه حول التعذيب في الملعب المدرج قائلا: إن هؤلاء النجوم- يقصد المصارعين- خبراء القتل، هم شركاء ومستفيدون من مؤسسة القتل التي ينتمون إليها².

ولا يوجد نص مسيحي على حد علمنا يعتبر المصارعين ضحايا للمجتمع آنذاك، كما نفعل اليوم من خلال نظرتنا الاجتماعية للأشياء، وبالتأكيد خلال القرون المسيحية الأولى، كان هناك صراع كامن حول المسألة؛ فقد وجدنا من ناحية أخرى آباء الكنيسة اللاتينية، ومنهم أساقفة بارزون مثل أوغسطينوس الذي لم يكن رجلا من أصول نبيلة يتعاطى مع قضية التعذيب على يد المجالدين أو الحيوانات في المدرجات من زاوية مخالفة، ويظهر تعاطفا خفيا اتجاه ذلك³. كما كان معاصره البابا إنوكنتيوس الأول معارضا لأن يصبح القضاة السابقون أساقفة، لأنهم قاموا في وقت من مسيرتهم المهنية "بتطبيق قوانين قاتلة"، وكتبوا استخدام السيف ضد الأبرياء في المدرجات⁴.

1- Veyne Paul -Païens et chrétiens devant la gladiature -p905.

2- Saint Cyprien- Ad Donatum- 7-Traduction Jean Molager- Éditions du Cerf- Paris-1982.

3- Saint Augustin -Lettres- 191, 2.-Oeuvres complètes de Saint Augustin- Traduites pour la première fois en français sous la direction de M. Raulux- Tome XI- Bar-Le-Duc-Librairie Guérin et Cie Editeurs- Paris-1868.

4- Innocentius, Lettre, 3, 4- CSEL-34-2-1-Martindale-1980-I244-246.

علاوة على ذلك، لا يبدو أن أيًا من آباء الكنيسة اليونانية في القرن الرابع لمح إلى قتال بين الرجال، ورغم أنهم استخدموا كلمة (mono-makhoi)، فإن السياق يظهر أن الأمر يتعلق بقتال حيوانات برية، ويمكن للمرء أن يفترض رفض الأباطرة في كل مرة الإذن لكبار الكهنة الامبراطوريين، الذين كانوا الممولين الرئيسيين لهذه المباريات باهظة الثمن لتنظيمها. ولا شك في أنه بعد عام 400م في قرطاجة، لم يعرف الأسقفان كوودفولتديوس أو سالفينانوس سوى المسرح والسيرك، ونشعر أنه خارج روما القديمة أين حافظ الوثني الثري والسيناتور سيماكوس وابنه على تلك الظاهرة من حيث المبدأ؛ فقد بدأت تتلاشى خارجها.¹

وننتقل بسرعة إلى الحقائق التاريخية؛ فبعد حوالي عام 380م في روما، أتيحت الفرصة لأحد أصدقاء الأسقف أوغسطينوس "ليتشر بنظرته" دماء ضحايا المصارعين، وفي 24 فبراير عام 391م، كانت الوثنية محرمة تمامًا، ومعها ظهر مفهوم جديد وهو "شجب قتل الضحايا الأبرياء من الحيوانات"²، هذا الاحترام لحياة الحيوانات كان سمة مسيحية خالصة في ذلك الوقت.³

لذلك لن نعلق أهمية كبيرة على الانتقادات المبررة التي يوجهها الرواقيون أحيانًا إلى المصارع بعبارات يبدو أنها تمثل إرهابًا للموقف المسيحي، غير أن الإدانتان ليستا على نفس النسق التاريخي، لأن دوافعهما لم تكن نفسها، ولا يقتصر معنى النص على الحرف، بل يعتمد أيضًا على النية التي صيغ بها: هل نريد التدمير أو الاستهجان أو الإدانة في جزء شهير نقرأه في الكتاب السادس لمدينة الله، يناقش أوغسطينوس قولاً لسينيكسا الساخر من الأصنام، وحتى لو كانت الكلمات متطابقة؛ فليس لها نفس المدلول والغاية.⁴

في القرن الرابع وفي مواجهة الإدانة المسيحية للحلبة، وما يجري فيها من تعذيب، عدها الوثنيون رمزاً للثقافة الرومانية؛ فمجدوا الأباطرة الذين اشتهروا بتنظيمها مثل أوغسطس

1- Veyne Paul -Païens et chrétiens devant la gladiature- 1999- p 906.

2 - Kruger Paul- Codex Théodosianus- XVI, 10, 10- Edition Kruger-Berlin-1968.

3- Saint Augustin, Cité de Dieu, I, 20- Traduction française Louis Moreau-Edition Lecoffre-Paris-1855.

4- Veyne Paul -Païens et chrétiens devant la gladiature -p912.

ونيرو، وتراجانوس وكومودوس، أو الشخصيات البارزة من أمثال الشاعر فيرجيليوس، وعالم البلاغة أبولونيوس.¹

لكن القانون الذي يستاء من القتل غير المبرر لأحد أفراد مجتمعه يريد أيضاً تطبيق العدالة ومعاقبة المجرمين لدرجة أن نفس الأباطرة المسيحيين الذين أدانوا، ثم منعوا المصارعة زادوا من فظاعة التعذيب في حلبات المدرجات؛ ففي عام 320 قرر الإمبراطور قسطنطينوس الأول أن خاطف العذراء أو الأرملة يحرق حياً في الحلبة، والممرضة المتواطئة مع الفتاة التي تجهض حملها الناتج عن السفاح يسكب الرصاص المنصهر في فمها²، وفي عام 390م أُصعد المثليون جنسياً إلى الحلبة لأول مرة³، كما تم إلقاء القبض على البغايا في بيوت الدعارة بروما بشكل جماعي وحرقهن، ولاداعي للقول بأن هذه الإجراءات كانت بدافع من الحزب المسيحي.

نفس المؤمنين الذين تم إقصاؤهم من مشاهدة الحلبة يمكن أن يشاهدوا بأعينهم عذاب المحكوم عليهم، ونفس الأخلاقيين الذين استنكروا استمتاع المتفرجين في المدرج يتجاهلون التنديد بهذا الاستمتاع من المتفرجين بالتعذيب.⁴

إن النظرة الذاتية التي رأت هذه المتعة في إحدى الحالات لم تعد تراها في الحالة الأخرى، وفي الواقع لم يكن التعذيب غاية، ولكن وسيلة الغرض منها إنزال العقوبة العادلة بالجريمة، والمثال المبرر للسلطة الإمبراطورية التي تسقط بكل قوتها على المتمرّد على سلطتها. ومع ذلك نتذكر أن أثيناغوراس ولاكتانتوس أو بيلاجيوس كان لديهم رعب حيال مشاهد التعذيب، ولم يرخصوا لأحد المؤمنين بحضوره، لكن منذ أن استولى قسطنطينوس الأول على الكنيسة، وجعل منها طائفة شخصية له، واتخذ أساقفتها كمعاونين له؛ فقد صار للكنيسة موقف مزدوج من مسألة التعذيب في المدرج؛ فالأسقف يوحنا كريسوستوم، أثناء أعمال الشغب في أنطاكية والأسقف أمبروسيوس، بعد مذبحه تسالونيكا، عارضاً ثيودوسيوس في قراره رمي مخالفه إلى الحلبة ليلقوا حتفهم، من ناحية أخرى، ووفقاً

1- Veyne Paul -Païens et chrétiens devant la gladiature -p914.

2-Kruger Paul- Codex Justinianus- IX, 24,2-Berlin- 1967.

3 -Kruger Paul- Codex Justinianus- IX, 7, 6-Berlin- 1967.

4- Veyne Paul -Païens et chrétiens devant la gladiature-.p915.

لأمبروسيوس نفسه ووفقًا لأوغسطينوس؛ فإن على الجندي والقاضي الآن واجب سلّ السيف.¹

4- المدرج كمكان للتعذيب في المقاطعات الإفريقية:

1.4- إشكالية وجود مدرج مخصص للتعذيب: لقد أثبتت بشدة مسألة استخدام المدرج مكانا للتعذيب في مقاطعات بلاد المغرب القديم، وحول ما إذا لم يكن موجودًا؛ ففي قرطاجة كما في روما إلى جانب المدرج العادي، كان هناك مدرج كاسترينس حيث عانى شهداء تيوربو (Thuburbo) ويلات العذاب قبل استشهادهم²، ومدرج قيصرية- شرشال- الذي عرف خلال العهد الروماني إراقة الدماء الغزيرة في حلبته خلال سنوات الاضطهاد.³

وبالنسبة لقرطاجة هل كان هناك أكثر من مدرج واحد (amphitheatrum castrense) خاص بالتعذيب لأن ظاهر النصوص يسمح لنا بافتراض أن الاستشهاد قد حدث في مكان آخر غير المدرج العام الكبير الذي وجدت أطلاله غرب هضبة بيرصا، وننوه إلى أنه لا يوجد شك في وثائق الشهداء التي ذكرت وجود مدرجين (mixnus castrense).⁴

أثريا نعتقد فقط بوجود مدرج واحد، ألا وهو المخصص للألعاب التي يحتفل بها في 7 مارس أو ذكرى ميلاد الإمبراطور؛ حيث تنظم ألعاب عسكرية "حقيقية، وتتم دعوة جنود الفرقة الحضرية إليها رسميًا، لكن هذا لا يعني أن الناس كانوا مستبعدة منها بل على العكس من ذلك؛ فقد توافدوا بأعداد كبيرة على المدرج وفقًا للعرف للتعبير عن مشاعرهم بحرية، ومن الواضح أن castrensis كان السجن العسكري الموجود في داخل المخيم أو في محيطه على تل بيرصا؛ حيث أيضا سجن المقاطعة، كما كان هناك سجن آخر في قرطاجة، وهو المكان الذي نقلت إليه الشهيذة بريتوا ورفاقها، عقب إدانتها على يد البروقنصل إيلاريانوس برميهم للحيوانات الضارية في حلبة المدرج.⁵

1- Veyne Paul -Païens et chrétiens devant la gladiature -p916.

2- Audollent Auguste- Carthage romaine- Paris -1901- p 303, n. 3.

3- Leveau Phillipe, Golvin Jean-Claude- L'amphithéâtre et le théâtre-amphithéâtre de Cherchel . Monuments à spectacles et histoire urbaine à Caesarea de Maurétanie.- In: M.E.F.R.A- Tome 91 n°2. 1979 -p838.

4- Passio Perpetuae et Felicitae, 10, 7 ; 18, 1- Traduction de la version latine Joëlle Soller : *Premiers écrits chrétiens*-Gallimard "La Pléiade", Paris-2016- p 290-304.

5- Lopuszanski Georges - La Police romaine et les Chrétiens- In: L'antiquité classique- Tome 20- fasc. 1-1951- p39 .

2.4- أسباب التعذيب: كانت هناك أسباب عدة للتعذيب: حيث طالب كهنة الإله ساتورنوس الإفريقي بضحايا من البشر حتى في بداية القرن الثاني الميلادي، وهذا على الرغم من معارضة روما، ومع ذلك تم التوصل إلى حيلة: السجناء المحكوم عليهم بالإعدام والذين كان من المقرر أن يموتوا في الحلبة كانوا يرتدون زي كهنة ساتورنوس، أي مكرسين للإله: أتباع هذا الأخير راضون عن هؤلاء الضحايا، وهكذا يمكن للمرء أن يلتف على القانون الروماني الذي يحرم الذبائح البشرية بهذه الطريقة، وقد حدثت طقوس مشابهة محظورة في أماكن أخرى: ففي (venatio) أي عروض قتل الحيوانات لم يتم تقديمها بأي شكل من الأشكال تكريماً للإله، والنص الوحيد الذي يعلمنا عن هذه الخاصية الإفريقية وثائق استشهاد فليكيثا وسيدتها برييتوا (Felicitia- Perpetua): إذ يشير إلى محاولة الكاهنات إلباس الشهيدين زي كاهنات ساتورنوس بمناسبة احتفالات ميلاد القيصر جيتا ابن سبتيميوس سيفيروس، وسنعرض لاحقاً حالات أخرى سمحت فيها السلطة الرومانية باستخدام القتل وسفك الدماء في الحلبة أثناء تأدية طقوس أو ممارسات سحرية.¹

من السهل الآن تخيل تطور هذه الطقوس؛ فبعد تعرضه لهجمات الحيوانات القاتلة يتم منح الرحمة للشخص المدان من قبل مصارع محترف، ونحن على دراية جيدة بهذه التفاصيل، ولا سيما من خلال أعمال الرسل، ومن خلال وثائق الشهداء؛ فبعد نحر الحلق يجمع الكاهن الدم في وعاء، ومنذ القرن الثاني الميلادي لا شيء يمنعنا من التفكير في أن الإعدام وجمع الدم قد حدث في الكولوسيوم في شهر ديسمبر.²

يجب على المرء بالتأكيد أن يأخذ في الاعتبار دور جمعيات المجالدين (munera) في المحافظة على إدامة المعتقدات والطقوس القديمة التي تهدف إلى استرضاء الآلهة الجهنمية بالدم؛ فساتورنوس وفقاً لماكروبيوس وللعديد من الكتاب المسيحيين، مثل ترتليانوس (في الأبولوجيا أو في مؤلفه ضد سيماكوس) كان يطلب دوماً ضحايا بشرية.³

1- Ville Georges- Les jeux des gladiateurs dans l'Empire chrétien- In : Mélanges d'archéologie et d'histoire-Tome 72- 1960-p280.

2- Ville Georges- Les jeux des gladiateurs dans l'Empire chrétien-p282.

3- Clavel-Lévêque Monique- Rituels de mort et consommation de gladiateurs : images de domination et pratiques impérialistes de reproduction- Annales littéraires de l'Université de Besançon-294-1984-p 191.

ولفترة طويلة كان الحشد ينتظر القتال، وسفك الدماء تضاعف على مرأى من الضحايا الذين يصرخون من كل الجهات: الوحوش! دع الوحوش تذهب! المسيحيون للوحوش، هذه هي بالفعل الصيحات التي ارتفعت من الجماهير الوثنية المحرصة على قتل المسيحيين، وفي بعض الأحيان يطلبون رميهم للحيوانات دون رحمة؛ فعلى على سبيل المثال حالة بوليكاربوس أسقف سмирنا (منتصف القرن الثاني) أو كبريانوس أسقف قرطاجة (منتصف القرن الثالث)، وأحيانا المطالبة بمعاينة مجموعة من الضحايا، وفي نهاية القرن الثاني الميلادي ترددت أصدااء هذه المذابح: "إذا فاض نهر التير على مدينة روما، أو إذا لم يغمر المطر الريف، أو إذا اهتزت الأرض، أو حدثت مجاعة أو طاعون، على الفور يصرخ الوثنيون: ارموا المسيحيين للأسود".¹

لكن لماذا هذا التحريض؟ ما هي دوافع الحشود إليه؟ هل عبر عن كراهية دائمة؟ ما هو الوضع الحقيقي للمسيحيين؟ مع البعض الآخر من الأسئلة التي يطرحها الاضطهاد ضد المسيحيين في العصور القديمة. المشكلة معقدة؛ فهي تشمل الجوانب الإيديولوجية والاجتماعية والقانونية، والتي هي بعيدة كل البعد عن الوضوح بالنسبة إلينا.²

5- المسيحيون أكثر الفئات المستهدفة بالتعذيب في المدرج: وكما ذكرنا سلفا فإن اسم نيرو (Nero) ارتبط بأول اضطهاد ضد المسيحيين، ولنترك وراءنا رواية المؤرخ تاكيتوس المشهورة بحق: "لا سخاء الأمير ولا مراسم استرضاء الآلهة نجحت في خنق السؤال الشائع من الذي أمر بحرق روما، وبالتالي لمحو الشائعات، قدم الإمبراطور نيرو كبش فداء، وأمر بتعريض المسيحيين لأشد أنواع العذاب، لأنهم كانوا محل سخط الناس وكرههم، وهكذا بدأوا بمقاضاتهم وإدانتهم، وإن لم يعترفوا بما نسب إليهم، لأن التهمة التي ألصقت بهم دوما هي كراهيتهم للجنس البشري لمجرد أنهم يعبدون إلها واحدا، ويرفضون الآلهة المتعددة".³

1- Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions !- In: Bulletin de l'Association Guillaume Budé- Lettres d'humanité n°46- décembre 1987- p329.

2- Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions -p330.

3- Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions -p331.

وإلى جانب إعدام المسيحيين في الحلبة أضافوا إليهم السخرية، وغطوهم بجلود البهائم وعلقوهم على الصليبان على الرغم من أن هؤلاء الرجال لم يكونوا مذنبين، ولم يكونوا يستحقون كل هذه القسوة، ورفعوا عنهم كل رحمة باعتبار أنها ليست في المصلحة العامة.¹ لكن هل استحق المسيحيون فعلا هذا التعذيب في عهد نيرو، إن موقف تاكيتوس حيال القضية غامض نوعا ما؛ فهو لا يؤمن بذنب المسيحيين كمحرقين لروما، لكنه يعتبرهم مستحقين لعقوبة الإعدام، واصفا إيمانهم بالخرافات المقيتة" (exitibilis superstitio) ومظهر من مظاهر "الكراهية ضد الجنس البشري، وبعده بسنوات نجد مؤرخ البلاط سويتونيوس (Suetonius) يثير هذا الاضطهاد، ولكن دون ربطه بحرق روما، ويقر بإيجاز أكثر لكن بنفس المعنى وبنفس المصطلحات: "سلمنا إلى العذاب في الحلبة المسيحيين وهم نوع من الناس يتعاطى خرافا وممارسات جديدة وخطيرة (superstitio noua ac malefica).²

خرافات جديدة وكره للبشر: ذلك على ما يبدو أقدم اثنين من التهم الموجهة ضد المسيحيين، وسيأخذ الوثنيون التهمة الأولى على الفور ذريعة ضدهم حتى نهاية العصور القديمة³، وبطبيعة الحال كان يتم تطعيم هاتين التهمتين بمزيد من الإهانات: فقد كان المسيحيون يُوصفون بالمجانين أو الفاسقين، والأناس الأغبياء أو العنيدون أو الفظون والأميون، والبعض الآخر افتراءات غالبا ما تأتي من الجهل العميق بالمعتقدات والمراسيم والطقوس المسيحية، والذي تؤدي إلى تفسيرات ساخرة، منها أن المسيحيين متهمون بالانخراط في طقوس القتل والعمليات السحرية، وعبادة رأس الحمار، وممارسة أكل لحوم البشر، وسفاح القربى وغيرها من التهم، وتتعلق التهم الأخرى بشكل أكثر تحديداً بسلوكهم في المدينة: منها أنهم يرفضون الارتباط بالطوائف الوثنية، ويعرضون أسس الإمبراطورية للخطر، وأنهم سبب كل المصائب التي تحيق بالدولة: الهزائم العسكرية والكوارث الطبيعية⁴.

1- Tacite-Annales,XV,XLIV-OEuvres complètes –Traduction Jean Louis Burnouf-Hachette- Paris-1859.

2- Suétonius-Vie des douze césars. Vita Neronii-XVI,3- Traduction Michel Baudement- Dubouchet- Paris-1845.

3- Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions- p331.

4- Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions- p332.

في وقت لاحق لاسيما في السنوات الأخيرة من القرن الثاني، جاءت الاتهامات وغيرها من القذف النمطي إضافة إلى انتقادات أكثر تحديداً موجّهة إلى المسيحيين. وفي هذه المرة قادمة من الدوائر الوثنية المتعلمة، كانوا يستهدفون محتوى الكتاب المقدس، وبعض مقالات العقيدة الأولى. كان أول الوثنيين الذي سلك هذا السبيل، وهو تعلم العقيدة المسيحية لمحاربته الفيلسوف الأفلاطوني كيلسوس (Celsus) حوالي عام 180م، الذي وضع مؤلفاً ضد المسيحيين بعنوان "كلام الحق نحن لا نحوز النص كاملاً، ولكن يمكننا إعادة بناء الخطوط الرئيسية بفضل الرد الذي كتبه أوريجانوس عليه حوالي عام 250م؛ ففي كتابه في الرد على كيلسوس بقدر ما نستطيع أن نقول؛ فإن معظم المراجعات التي صدرت في وقت لاحق ضد المسيحية وجدت بالفعل في كتيب كيلسوس المعادي للمسيحية بغيتها: لقد كانوا يهدفون الطابع الرائع لبعض الروايات الكتابية، وتصور مجسم عن إله العهد القديم، وعقائد التجسد والبعث، والانقسامات وهرطقات تقسم الكنيسة، ولا يمكننا هنا متابعة تاريخ الجدل المعادي للمسيحية الذي افتتحه كيلسوس؛ ومع ذلك فإن إحدى خصائصه تستحق الذكر روابطها الدائمة بالأفلاطونية الحديثة، بما في ذلك العداء لها قادت المسيحية جستنيانوس إلى إغلاق المدرسة في أثينا عام 529. لكن هذه الانتقادات، حتى الوقوع، إذا جاز التعبير في المجال العام كانت مسألة جدل علمي. لقد ساهموا بلا شك في تغذية الشك والعداوة ضد المسيحيين. وهو غير مرجح، مع ذلك على وجه التحديد في ضوء طابعها المذهبي. كما لعبوا دوراً حاسماً في صياغة الموقف الذي اتخذته السلطات الرومانية ضد المسيحيين. من ناحية أخرى فإن الافتراءات والاتهامات التي وجهت للسلوك اليومي للمسيحيين، وممارساتهم الدينية زادت ثقلاً مع الأيام. هذه الافتراءات وهذه الاتهامات على اختلاف أنواعها خلقت مناخاً مواتياً للعنف والاضطهاد. ولفترة طويلة كان يعتقد أن السلطات الرومانية قد وضعت تشريعاً خاصاً يحظر المسيحية في جميع أنحاء أراضي الإمبراطورية، وأعلن عندئذٍ أن الطقوس المسيحية في حد ذاتها تعد نشاطاً مقيتاً تحرمه الإجراءات القانونية. وعلى أي حال إذا كان مثل هذا النص موجوداً؛ فمن الصعب تقبل أن الكتاب المسيحيين لم يدينوه.¹

1- Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions- p334-344

نعلم أخيرًا رد كل من الإمبراطورين تراجانوس وأدريانوس لاثنتين من حكام المقاطعات طلبا منهما إرشادات حول كيفية التعامل مع المسيحيين، والمراسلات المتبادلة حول هذا الموضوع من قبل بليينوس الشاب وتراجانوس في عام 121 معروفة ومفيدة: ويمكن للمرء أن يتخيل كم أن حاكم بونت وبثينيا لم يكن على علم بهذا النص القانوني؛ لكن النص الحذر والإحراج من قبل الإمبراطور، الذي هو نفسه لا يمكن أن يكون تجاهله يثبت أن هذا النص في الواقع لم يوجد. وقبل كل شيء نعود إلى صرخة الحشود لتذكرك في البداية: "مسيحيون للأسود!" لكن لماذا "للأسود" على وجه التحديد؟¹

هل إدانة المسيحيين برمهم للوحوش (ad bestias) في غالب الأحيان صارت عند الرومان بامتياز العقوبة المفروضة عليهم. تاريخيا هذا ليس صحيح تماما؛ فعلى العكس كان قطع الرأس أو الخنق والصلب حتى الموت عقوبات مصنفة من قبل القانون الجنائي الروماني كعقوبة الإعدام، كما كان إدخال الضحايا إلى قفص ملئ بالحيوانات الضارية، والتعليق على مذراة (جوركا)، والحرق بالنار من العقوبات الشائعة حسب نصوص آباء الكنيسة اللاتينية أو الإغريقية على حد سواء، ومن حيث المبدأ في ظل الجمهورية كان المعتذون المحكوم عليهم ممن لا يحملون الجنسية الرومانية؛ لكن خلال العهد الإمبراطوري، ومع التمايز القانوني والاجتماعي بين الشرفاء (Honestiores) والعوام (Humiliores)، أصبح المواطنون الأحرار البسطاء أكثر عرضة للتعذيب في المدرجات، وقد تم العثور على هذا التمييز في القانون الروماني في كثير من الأحيان في المحاكمات ضد المسيحيين؛ حيث كان القاضي يختار طريقة التعذيب ويحددها وفقًا لعدة معايير: منها العمر والجنس، ولكن قبل كل شيء الوضع القانوني للمتهمين وعداء العامة الذي يشكل ضغطا شعبيا. وهكذا في عام 177 مكان شهداء مدينة ليون (Lugdunum) الذين قُطعت رؤوس بعضهم، وأرسل الآخرون إلى الوحوش يمتلكون الجنسية الرومانية، وفي كثير من الأحيان تمت الإشارة إلى تنوع العقوبات من خلال مراسيم الاضطهاد: إذ في عام 258م، لم ترمى النساء المسيحيات المنتميات إلى أعلى طبقات المجتمع إلى سيوف المجالدين بل نفيين.²

1-Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions- p345.

2- Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions- p345.

مما تطرحه مسألة استخدام حلبات المدرجات مكانا للتعذيب إشكالية مدى انتشار التعذيب فيها؟ فالكتاب القدماء سواء كانوا وثنيين أو مسيحيين مختلفين في المسألة: فالمؤرخ تاكيتوس يتحدث عن "عدد كبير من المسيحيين" المضطهدين في عهد نيرو، أما الأسقف كبريانوس فيقول: إنه خلال فترة اضطهاد دكيوس "كان الدم يتدفق من ناحية أخرى يصف يوسبيوس القيصري فظاعة التعذيب على عهد ديوكليتيانوس بدقة أكبر: "في بعض الأحيان أكثر من عشرة، وحتى عشرين شخصًا كانوا يعدمون على يد المصارعين أو الحيوانات، وأحيانًا أخرى كان هناك ما لا يقل عن ثلاثين إلى ستين ضحية، وفي إحدى المرات وفي يوم واحد قتل مائة رجل على يد المصارعين في مدرج مدينة افسوس¹.

تضمنت صفوف المعذبين المضطهدين ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة كترتوليانوس الذي ينحدر من عائلة عسكرية متوسطة؛ فكتاباته تدل على أن اضطهاد المنتصرين بدأ على يد الوثنيين قبل أن تتزعمه السلطة الرومانية، إذ بادر جمهور الوثنيين بحرق المنتصرين دون محاكمة، وهو عمل لا يسمح به قانون لومورس ضد أفراد متنصرين من الطبقة الوجية، لكن القانون لا يحمي الطبقة الدنيا، وطالب جمهور الوثنيين بإعدام المسيحيين بالزج بهم في السجن أو إلى الوحوش للتسلي بمنظرهم الدامية في المدرجات قائلين: "المسيحيون للأسود"(Christinos ad leonem)، كما رفضوا دفن جثثهم في المقابر بقولهم: إنه ليس هناك مكان لهم بها(Areae son sint)².

وكما نلاحظ فإن جل المعذبين من الفئة التي لا يحميها القانون، ولا تحظى بسند اجتماعي، وبناء على منزلة الناس كان يطبق القانون عقوباته حيث يبيع الحكم بالإعدام رميا إلى الوحوش(Ad bestias) أو المجالدين(Ad gladium) على من تثبت ضدهم تهمة الإجماع من طبقة البسطاء(Homeliiores) عكس طبقة الأشراف(Honestiores) التي تخفف عنها الأحكام أو تستثنى منها، أما في عهد تراجانوس(Trajanus) فقد تم وقف عمليات البحث وملاحقة المسيحيين، ومنع الموظفون من قبول الوشايات فيهم، لكنه جعل تقديم القرابين

1-Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions -p346.

2- Monceaux Paul - Histoire littéraire de l'Afrique du nord depuis les priginés jusqu'à l'invasion arabe- Tome I -Tertullien et les origines -Leroux- Paris -1901- p 12.

للآلهة من قبلهم شرطا مسبقا لنجاتهم من العقاب¹، وفي عهد الإمبراطور أدريانوس (Hadrianus) أصدر قرار يمنع السلطات الرومانية في المقاطعات من اضطهاد المسيحيين بسبب وشاية أو دس من أحد الوثنيين واليهود، وإذ تم توقيف أحدهم نتيجة لذلك يطلق سراحه فوراً، إلا إذا أعلن مسيحيته أمام ممثلي السلطة؛ فيجب عندئذ سوجه إلى المدرج².

6- نماذج من التعذيب في المدرجات الرومانية بمدن المقاطعات الإفريقية: تتضمن المصادر الأدبية والكنسية الكثير من الشواهد المادية عن تعذيب المسيحيين وغيرهم في حلبات المدرجات؛ ففي يوم 6 مارس سنة 203 تم إعدام شهيدتين: الأولى من طبقة أرستقراطية، وهي في عنفوان شبابها ولم تتجاوز الثانية والعشرون تدعى بربيتوا (Perpetua)، والثانية وهي خادمتها من طبقة فقيرة تدعى فيليكيتا (Felicita)، قتلتا رفقة عدد من إخوانهم على يد المصارعين والثيران المفترسة في الحلبة بمدرج مدينة شرشال (Caesarea).³

وفي عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس كان يلقي بهم إلى الحيوانات الضاربة كالفهود والدبة والخنازير البرية ليكونوا وسيلة يتسلل بها الحاضرون في المدرجات التي كانت تحتضن بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد الإمبراطور، هذه الإجراءات لم يشهد مثلها المسيحيون من قبل، وبهذا تعتبر فترته أعنف فترة مر بها المسيحيون وعدة من رجال الدين في نهاية القرن الأول ومطلع القرن الثاني، ويعد الحدث البالغ الأهمية إعدام هذا الإمبراطور للأسقف أقريبينوس (Agripinus)، وهو أول أسقف للطائفة الدينية المعروفة في قرطاجنة؛ فقد جمع حوله بفناء الكنيسة سبعين أسقفاً، وتم فيه حكم الإعدام بهذه المدينة، علاوة على القديس مافيلوس (Mavilus) الذي استشهد بمدينة سوسة (Hadrumetun) في 18 يناير سنة 212 بعد رميه للحيوانات المفترسة في حلبة المدرج إثر رفضه الرجوع عن دينه أمام السلطات الرومانية بالمدينة، وبأمر من ترتولوس سكابولا (T.Scapula) بروقنصل إفريقية ما بين عامي 211 - 213.⁴

1- Pline le jeune, Lettres, X, flammariion- Paris-1991.

2- Gaudermet. Jean- Les institutions de l'antiquité - 3eme édition - Montcrestien – Paris- 1993-p 398-399.

3- Bertrand Louis- Les martyrs africains- éditions Publiroc- Marseille-1956- pp29-38/Gaudermet. Jean- Les institutions de l'antiquité - 3eme édit – Montcrestien- Paris- 1993-p 404-405/Courlot. Mgr-Saints d'Afriques-S.A.P.I-Tunis-1930- p 109-115.

4- Desjardin Victor -Les saints et les martyrs en Oranie- Bulletin d'Oran-1947-p 123.

أما في عهد دكيوس المعروف بتمسكه الشديد بالوثنية وإخلاصه العميق لها، ورفضه وجود ديانة أخرى تنافسها ازداد عدد الملقون بهم إلى حلبات المدرجات¹؛ ففي مقاطعة نوميديا وتحديدا بمدينة تازولت (Lambaese)، أوقفت السلطات الرومانية المدعو ماريانوس (Marianus) اشتبهت في أنه مسيحي بعد تملصه من حفل تقديم القرابين للإلهة ديانا (Diana)، وحينما اعتقل واعترف بعقيدته دون خوف أو تردد قدم للمسائلة، ونتيجة إصراره قضت المحكمة بقتله في المدرج بقطع رأسه في شهر أفريل سنة 250، وبمدينة قرطاجة أعدمته سلطات المدينة ماكسيميانوس (Maximianus) بتهمة الكفر بالآلهة الرومانية بعد أن عذب في المدرج في شهر سبتمبر سنة 250.²

كما تعرض الكثير من المسيحيين الجنود للقتل بساحات المدرجات بعد رفضهم حمل السلاح؛ فقد عذب خلال هذه الفترة، وقتل كل من ماركيلوس (Marcellus)، وكاسيانوس (Cassianus) سنة 298 بمدرج مدينة طنجة (Tingi)، وكذلك الجندي المتقاعد تيباسيوس (Tipasius) في نفس السنة بمدينة العطاف (Tigava Castra)، وكذا المسيحية كريسيينا (Crispina) ورفقائها بحلبة مدرج تاورة (Thagura) عام 304 على يد الضواري (Ferrae)، وبمدرج مدينة شرشال (Caesarea) أعدم فابيوس (Fabius) الضابط في حامية شرشال بقطع رأسه بعد رفضه حمل الراية في مقدمة الموكب الرسمي لحاكم موريطانيا القيصرية في أحد الاحتفالات الرسمية بالإضافة إلى ماركيانا (Marciana) التي رميت للأسود في ساحة ملعب المدينة يوم 9 يناير عام 304.³

نذكر كذلك أيضا الجندي أركاديوس (Arcadius) الذي قتل بتاريخ 12 يناير سنة 305 بإحدى مدن موريطانيا القيصرية حيث عذب بسبب عقيدته، وذلك بقطع مفاصلة الواحدة تلوى الأخرى قبل أن يضرب رأسه بالسيف، كما أعدم البروقنصل أنولينوس (Anulianus) المسيحي داتيفوس (Dativus) بتاريخ 11 فبراير 304م، وفي مدينة قرطاجة سقطت في شهر سبتمبر سنة 304 المسيحية كانديدا (Candida) بحد السيف بعد إصرارها أثناء

1 -Aube André - Histoire des persécutions de l'église- Paris- 1878 -p 190 -192.

2- Desjardin Victor -Les saints et les martyrs en Oranie- Bulletin d'Oran-1947- p 80- 81.

3- Desjardin Victor -Les saints et les martyrs en Oranie- Bulletin d'Oran-1947- p 17-18.

محاكمتها العلنية على البقاء على دينها¹، وفي يوم 30 جويلية 305 بمدينة تبورية (Thuburbo Minus) استشهد العديد من المسيحيين كماكسيميا (Maximia) ودوناتيلا (Donatilla)، وسكوندا (Secunda) أين أُلْقُوا إلى الحيوانات المفترسة في ملعب المدينة، بعد رفضهم التضحية للآلهة الوثنية والتخلي عن عقيدتهم².

7- نماذج من التعذيب في المدرجات الرومانية في المقاطعات الرومانية الأخرى: يعد الرمي إلى الحيوانات (damnatio ad bestias) في روما القديمة شكلاً من أشكال عقوبة الموت الذي يتم فيه تشويه المدانين بواسطة الحيوانات، وتنظمه السلطات العامة أو بموافقتها، ونحن نصُدم اليوم بطابعها الوحشي³.

كانت أول ضحية بين النساء في القرن الأول في أنطاكية، ثم إغناطيوس أسقف أنطاكية عام 107م، والأسقف يوستاس عام 114م بروما، ثم غليسيريا عام 141م بتراقيا، وبلاندينا عام 177م بمدينة ليون؛ حيث أُلْقِيَتْ إلى الوحوش مع ثمانية وأربعين مسيحيًا آخرين، وأوفيميا عام 304م في خلقيدونية التي رفض الأسد الذي أُلْقِيَتْ إليه في المدرج افتراسها، وقام دب بحمايتها حسب الرواية المسيحية⁴.

كان المسيحيون يسعون إلى أن تلتهمهم الضواري في الحلبات: "وكانوا يتملقونها لتفعل ذلك حسب اغناطيوس أنطاكية، وكان الاعتقاد بين المسيحيين بأن التهام الحيوانات أكلة اللحوم الجائعة لهم في حلبة المدرج شبيهة تماما بابتلاع يونان كاملاً من قبل الحوت كما ورد في الكتاب المقدس.

علاوة على ذلك كان طريقا لكسب الجنة، وحسب سالفيانوس، وهو أسقف من القرن الخامس: "إن أعظم ما يسعد الرومان أن يروا الرجال يموتون في الحلبة بيد المصارعين والمفترسات، أو ما هو أسوأ وأقسى من الموت، وهو رؤيتهم ممزقين إلى أشلاء في بطون

1- Desjardin Victor -Les saints et les martyrs en Oranie- Bulletin d'Oran-1947- p 153 – 154.

2- Courlot. Mgr- Saints d'Afriques-S.A.P.I-Tunis-1930-p115-119.

3- Jean-François Géraud- *Ad bestias*. Manger des hommes,- CRESOI – EA 12- octobre 2021-p19.

4- Jean-François Géraud- *Ad bestias*-p19.

الوحوش المليئة باللحم البشري، والنظر إلى الرجال يؤكلون وسط فرح المتفرجين بحيث يبدو أن الضحايا تلتهمهم أعين الجمهور بقدر ما تلتهمهم أنياب الوحوش وتمزقهم مخالهاً¹. لكن بالنسبة للمؤرخ لا ينبغي أن تؤخذ هذه التأكيدات على ظاهرها؛ فحرفياً قُتل المسيحيون بالفعل في الساحة²، إن الشهادات المعاصرة تظهر الضحايا عرضة للمهاجمة والعض والتمزيق، وأجسادهم ملطخة بالدماء، وليست جثثاً في عملية التهام، والروايات حول الاتهام الكامل لهم نادرة جداً، وتشير المصادر الوثنية المكتوبة إلى ذلك أيضاً حيث الضحايا ممزقين ومبقورين ومقطعين، أخيراً هناك نصوص مسيحية معينة تعترف بأن الغرض من التعرض للوحوش هو التشويه والتمزيق: في هذا السياق كتب ترتوليانوس أسقف قرطاجة قائلاً: "إن المشهد يجب أن يشمل قيام الوحوش البرية بتقطيع أجساد الرجال إلى أشلاء"³.

ولا شك في أن الشهداء الأوائل كانوا يسعون إلى أن يتلغوا بالكامل للحفاظ على أجسادهم كاملة بهدف القيامة، ولذا في مدينة صور وحسب يوسبيوس القيصري؛ فإن النمر والدببة والخنازير البرية والثيران كانت تطعن بقضبان من الحديد المحمر لتهيجها لتهاجم المسيحيين: "لكن الأبطال المقدسين هم الوحيدون الذين لم تهاجمهم الوحوش"⁴. في آسيا ومنذ القرن السادس قبل الميلاد، وحتى من قرطاجة إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد تم استجلاب الفيلة إلى روما في عام 275 ق.م، حيث استعملت لدهس الأسرى الذين انهزموا في الحرب ضد بيروس ببلاد اليونان، ونفس الشيء حدث بعد الحرب ضد حنبعل القرطاجي، وفي عام 146 قام سكيبيو الإيميلي بمناسبة انتصاره بالاحتفال في العاصمة روما، وذلك بتعريض الفارين للحيوانات البرية ولاسيما الفيلة، ومثل هذا الفعل كان يهدف إلى تثبيط المرتدين المحتملين، كما أرسل البروقنصل مانيوس أكويليوس (Manius Aquilius) إلى الوحوش في مدرجات روما الناجين من العبيد المتمردين في صقلية عام

1- Salvien- *De gubernatione Dei*, 6.2.10- *Oeuvres*, vol. 2, édition Lagarrigue (I.)- coll. Sources

chrétiennes » n°220,-Editions du Cerf- Paris-1975.

2- Jean-François Géraud - *Ad bestias*- p21.

3 -Tertullien -*De Spectaculis*, XII-Traduction E.-A. de Genoude- Louis Vivès- Paris-1852.

Traduit par Liette Réau- Connaissance des Pères de l'Église 71-1998.

4- Eusèbe de Césarée- *Histoire ecclésiastique*, V, 26- Traduction. Emile Grapin- Librairie A. Picard- Paris-1913..

100ق. م، وفي عام 56م أشار ديون كاسيوس إلى التقارير التي تفيد بأن فيتليوس حضر مباريات المصارعين (munus) في ليون (Lugdunum)¹؛ حيث وفقًا للمؤرخ تاكيتوس تم تسليم ماريكوس (Mariccus) المتمرد إلى الأسود والفهود، ثم قُتل أمامه²، وفي وقت لاحق ذكر المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس بأن الامبراطور تيتوس أرسل بعد الحرب اليهودية مئات الأسرى اليهود ليموتوا على يد الحيوانات المفترسة والمصارعين في مدرجات روما³، كما أرسل أدريانوس سجناء الداكين لتلثمهم الحيوانات البرية خلال الألعاب البارثية عام 117 أو 118م⁴.

8- تقديرات ضحايا التعذيب في المدرج: من الصعب تقدير عدد الضحايا من البشر الذين ماتوا على يد المصارعين أو الحيوانات، وحاولنا للحصول على نظرة عامة، حسب عدد أيام العرض هذه في السنة: 65 خلال حكم الإمبراطور أوغسطس، و93 في عهد حكم الإمبراطور كلاوديوس، 176 في 354 عام من بينها عشرة أيام من معارك المصارعين مع الحيوانات (venationes)، أما الضحايا (damnationes) فكان معظمهم يتم في ديسمبر وقليل منها في 30 مارس، ولم يكن المسيحيون يمثلون سوى أقلية صغيرة بين البشر الذين قتلوا هناك أو أعدموا لأن معظم الضحايا من البشر كانوا من المجرمين (noxii)⁵.

احتفظت بعض النصوص بذكرى هذه المشاهد الدموية: فالجغرافي سترابو كان شاهد عيان على إعدام زعيم العبيد المتمردين سيلوروس الذي وضع على سقالة، ومن هناك أدلى في منتصف قفص ممتلئ بالوحوش الشرسة التي مزقته إربا، وصلب اللص لوريولوس على وتد حيث مزق بواسطة نسر، والتمه دب جائع لأيام⁶.

1- Dion Cassius- *Histoire romaine*-Tome. IX, XIV, LXV, 1, Traduction Edmond. Gros- Firmin Didot frères- Paris-1845.

2- Tacite, *Histoires*, LX, 1-OEuvres complètes- Traduction Jean Louis Burnouf- Hachette Paris-1859.

3- Flavius Josèphe- *Guerre des Juifs*, VI, IX, 2- Œuvres complètes –Trad sous la direction Salomon Reinach- Publications de la société des études juives- Paris-1900-1932.

4- Ville George- *La gladiature en Occident. Des origines à la mort de Domitien*- Paris/Rome- De Boccard- 1981-p228.

5- Tertullianus – *Apologétique*-XLIV,3- Traduction Jean Paul Waltzing - : Librairie Bloud et Gay- Paris- 1914-.

6- Strabon – *Géographie*- VI, II, 6- Traduction Amédée Tardieu- Hachette- Paris-1867.; Apulée, *Métamorphoses*- IV, 13- Traduction Victor Bétolaud-Panckoucke- Paris -1836.

ومنذ عهد أغسطس تم دمج إعدام البشر (damnatio) مع قتال المصارعين (munus)؛ فكان هناك عرض يبدأ في الصباح بالصيد (venationes)، ثم من منتصف النهار إلى الثالثة بعد استراحة الغداء يجري إلقاء المحكوم عليهم إلى الحيوانات الضارية (damnatio ad bestias)، أما بقية فترة ما بعد الظهر فتخصص لمعارك المصارعين مع الحيوانات (venatio)- رجل ضد حيوان- وقاتل مصارع- رجل ضد رجل-¹.

وإذا كان قتال الحيوانات (venationes) يتطلب مجموعة لا حصر لها من الحيوانات المستوردة إلى روما بأعداد كبيرة مثل الفهود والأسود والثيران البرية وصيد الدببة من بلاد الغال أو من جرمانيا، وما يتطلبه ذلك من شحن هذه الوحوش إلى العاصمة؛ فقد تم إشراك فرق من الجيش في عملية الصيد، وأصبح الفيلق مزوداً للقيصر بالوحوش البرية، ومع بناء مدرج فلافيوس وتدشينه زادت واردات الحيوانات وعمليات القتل في الحلبة، وصارت لا نهاية ولا حصر لها، وكان هناك أنواع كاملة آيلة للانقراض مما قلل مع الزمن من الأعداد المرسلة إلى روما من الحيوانات البرية في بعض المقاطعات، وعند نهاية القرن السادس وقبل اختفاء هذه العروض لم يعد هناك أفيال في شمال إفريقيا، أو المزيد من الأسود في آسيا الصغرى أو أفراس النهر في مصر السفلى.²

وكما رأينا سابقاً في مشاهد الفسيفساء كان الضحايا من الجناة (Noxius) عراة بشكل عام، والعري مهم في الساحة- لأن الإنسان العاري يبدو أكثر ضعفاً وأكثر انحطاطاً من الرجل المرتدي للثياب، وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم، وأحياناً متروكة دون قيد، ويكون قائماً ومربوطاً إلى عربة صغيرة ومعرض في الساحة، ثم يثب عليه حيوان مروض على القتل، وعادةً ما يكون دباً أو نمراً، وعندما يتعلق الأمر بالمرأة، فإن المشهد مختلف قليلاً؛ ففي بعض الأحيان تكون المدانة مقيدة إلى خشبة، بينما تطلق الوحوش ضدها، ويشاركها في العذاب رفاقها، كما هو حال بلاندينا، لكن عادة ما تتعرض النساء لهجوم الثيران، سواء كن مقيدات من وراء ظهورهن أو أقدامهن إلى ثور أو بقرة هائجة ترميها في الهواء بقرونها وسط هتافات الحشود. إنها قاعدة أن يكون عري الأنثى رمزياً مخفياً بشبكة عريضة مثلما

1- Jean-François Géraud- *Ad bestias*-p27.

2- Plinie l'Ancien, *Histoire Naturelle*, VIII, 7. ; VII, 64, VIII, 53-Traduction Emile Littré - Firmin Didot- Paris-1877.

هو الحال في مقتل بريتوا وخادمتها فليكيثا¹، وفي بعض النصوص تستخدم الحيوانات المتخمة لجعل العرض أكثر تشويقاً؛ حيث دربت على اللعب مع المحكوم عليهم مثل لعب القط بفأر، لهذا بذل الأسقف إغناطيوس الأنطاكي الذي لا يريد أن يسلم من الأسود وعوداً بمداعبتها لكي تلتهمه دون تأخير.²

9- الشواهد الأثرية حول التعذيب في المدرج: تستحضر بعض اللوحات وبخاصة الفسيفساء، بطريقة أكثر تأثيراً رعب المشاهد: ففي جرمانيا وفي شمال غاليا، وفي إيطاليا وخاصة بإفريقيا، قد يكون الهدف منها تمجيد منظم الألعاب، وبالتأكيد الحفاظ أكثر على شغف السادة والزوار (voluptas spectandi).³

تمثل فسيفساء زليطن بلييا- المرتبطة بفيناتيوس الصباح (Damnatio ad bestias) أي الرمي للحيوانات المفترسة- أحسن مثال على التعذيب الممارس على الضحايا من قبل الحيوانات؛ فهي تحتوي عدة مشاهد رهيبه للقتل منها على يسار الإفريز الشرقي منظر لاثنتين من السجناء من السكان المحليين للمقاطعة من قبيلة الجرامنتس (Garamantes) (يتميزون على اللوحة من خلال القامة الطويلة، والشعر المجعد، والبشرة الداكنة) يتعرضون لهجوم الفهود وهم محمولون على سقالات أو عربات صغيرة مربوطين إليها، وحولهم أشخاص بعضهم يراقب الوحوش المسلطة للتعذيب، والبعض الآخر موجود في الخلف يحمل سوطاً، ويلوح بخرقه من أجل إثارة النمر، ودفعه للهجوم على الضحية، وعلى اليمين منظر لرجل يرمي الفتحاح لخنزير مدرب.⁴

أما فسيفساء الجم التي يعود تاريخها إلى عهد ماركوس أوريليوس (161-180م)، فهي تصور سجناء طويلي القامة، ذوي الشعر الأشقر من النوع الجرمني (Quades-Marcumanni) تهاجمهم الفهود، ومنظر الأسلحة، وبرك الدم المتناثرة تشير إلى أن محاكاة

1-Cyprien- *De Spectaculis*, V- Texte établi par Andre Boulanger- Les Belles Lettres- Paris- 1933.

2-Jean-François Géraud- *Ad bestias*-p30.

3- Jean Pierre Darmon- Mosaïques d'amphithéâtres en Occident- *Spectacula*, I. *Gladiateurs et Amphithéâtres*- Actes coll. de Toulouse et Lattes- direction Claude Domergue Charles Landes, Jean-Marie Paillet-Ed. Imago-Lattes-1990- p. 147-149.

4-Cagnat René- Une nouvelle mosaïque découverte en Tripolitaine- *Journal des Savants*- Année 3- 1924- pp. 97-102.

القتال سبقت التعذيب، والحجم الهائل للحيوانات ونفثات الدم تضفي على هذه الفسيفساء مسحة درامية رهيبية؛ حيث قصد أصحاب قصر الضيعة (Villa) إلى جعل الفسيفساء مادة للمتعة وليس من أجل التعاطف.¹

وأثناء حدوث عمليات القتل الفظيعة هذه يسخر السكان من الضحايا، ويضحكون على صراخهم من الرعب ويفرحون بمعاناتهم، زيادة على ذلك يضعون رهانات مكتوبة على أوراق من الورق معدة مسبقاً (libellum munerarium)، وعندما تدوم المتعة لفترة كافية يعود الوحش إلى مكانه داخل القفص، وتنقل الضحية النازفة إلى العيادة (spoliarium) إن كانت حية، ثم ينتقلون إلى الضحية التالية، وعند قرب نهاية المشهد، ولإرضاء الناس يذبح المدانون في وسط الحلبة، وتبرز حناجرهم المشقوقة ليراها الجميع، وفي الواقع بالنسبة لمرتكب جناية القتل (noxius) فإنه يقتل إجبارياً في نهاية العرض.²

تعود فكرة الرومان عن المشهد الدموي في حلبة المدرج في أصلها إلى خلفيتهم العسكرية وولعهم بالحرب، ولا شك أيضاً في أن السماح للجماهير بلعب دور القاضي والسماح للمجالدین بتعذيب الناس، وذبحهم مهما كان جرمهم يعد في نظرنا نحن المعاصرين تواطئاً على القتل³، وإن كان الناس حينها يعتبرونها أكثر رحمة من الموت تحت أنياب الحيوانات، وهذه العقوبات مقارنة بعقوبة الإعدام البسيطة تعد شكلاً مشدداً من أشكال عقوبة الإعدام، وما يزيد من شيوعتها هيجان العامة التي ترافقها.⁴

خلال الإدانات الأولى جاء الضحايا من نفس فئة المهتمشين الاجتماعية: العبيد الضالين والأسرى، والفارون من الجندية، وعتاة المجرمين الذين يبدون بطبيعتهم مستحقين لمثل هذه العقوبة، لكنها كانت تضرب العامة (humiliores) وليس الأعيان، وكما يظهر فأصحاب

1 -Dulière Cécile , Hédi Slim Margret . A Alexander, Ostrow Steven, Pedley. Jhon -G, Soren David, -*Corpus des mosaïques de Tunisie*. III. *Thysdrus (El Jem)*. *Atlas archéologique de la Tunisie*. Feuille 81. Fascicule 1- Institut National du Patrimoine- Tunis - 1996-p 114 .

2 - Dulière Cécile et autres, *Corpus des mosaïques de Tunisie*. III. *Thysdrus (El Jem)*-Tunis-1996-p33.

3 -Grodzinski Denise- Tortures mortelles et catégories sociales. Les *Summa Supplicia* dans le droit romain aux IIIe et IVe siècles dans *Du châiment dans la cité. Supplices corporels et peine de mort dans le monde antique*, Table ronde de Rome (9-11 novembre 1982)- École Française de Rome-Rome -1984-p. 361-403.

4- Daremberg Charles et Saglio Edmond- *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*-Librairie Hachette- Paris -1877-1919-p 389.

السوابق القضائية كانوا أكثر الضحايا خلال القرن الثاني الميلادي، ومع ذلك فإن الرمي للحيوانات (damnatio ad bestias) صارت العقوبة الأكثر شيوعًا يعاقب بها المنشقون واللصوص القتلة، ومشعلوا الحرائق، والخاطفون والمزورون، والمدانون قضائيا، وخلال عهد الحكومة الرباعية (284-315م) فسح المجال للصلب، لكنه ظل مطبقًا على المحرضين على الفتن والشغب، والقتلة والسحرة والمتمردين.¹

ويمكننا الاستشهاد بقصة العبد الإغريقي أندروكليس الذي تم العفو عنه كإجراء استثنائي لأن الأسد الذي كان سيقتله قد تعرف عليه حين أنقذه بأن نزع شوكة من ساقه كانت تؤله فتركه حيا²، وكان العفو عن الملقون إلى المدرج للموت فيه شائعا كما فعل كاليجولا في ذلك الوقت، وشهد القرن الرابع تفاقم عقوبة الموت بيد المجالدين لكنه مس حسب النصوص خاطفي العبيد والمحررين.³

من ناحيته لم ير الشاعر مارتياليس في هجائياته أدنى غضاضة في الإشادة بأعمال التعذيب في الحلبة المدرج رغم المعاناة والألم الجسدي المصاحب لها، لأنه لم يكن يرى في الضحية سوى قاتل ومدنس للمقدسات⁴، أما سينيكا وأبوليوس المادوري فهما لا يشككان في شرعية مثل هذه الإعدامات التي كانت مروعة لأنها تذكير بسلطة العدالة والقانون، وإن كان الثاني مع ذلك يستنكر إرضاء النزعة السادية للمتفرجين، لأن هذه العروض بحسب رأيه تتلاعب بالضمير الجمعي للمجتمع، وتعلم المواطنين القسوة والاستهتار بالروح البشرية⁵، هذا الواقع يزعجنا اليوم، ويتحدانا ويدفعنا لإيجاد الأسباب؛ ففي الصور على المزهريات والمصابيح، والفسيفساء هناك شيء واحد مشترك، وهو أنها جميعها تظهر الضحية البشرية العارية مقيدة ومقدمة للوحش الذي ومن دون أي عوائق يتم تمثيله بمخالب وأنياب في اندفاع مميت. هنا تنقلب الذبيحة الدموية التي هي من صميم الممارسة الدينية، فالرجل المقيد هو الضحية والحيوان هو المضحى⁶، ودعونا نتذكر أن المدرجات

1- Fredouille Jean-Claude- Les chrétiens aux lions- p33.

2- Février Paul Albert- Les Chrétiens dans l'arène- in *Spectacula – I. Gladiateurs et amphithéâtres*- p. 265-273.

3- Ville George- La gladiature en Occident. Des origines à la mort de Domitien, p441.

4- Apulée De Madaure- *Métamorphoses*- de Victor Betolaud-Garniers frères- Paris-1836- IV, 13.

5- Sénèque- *Lettres à Lucilius*- VII.-Traduction de J. Baillard- Hachette- Paris-1861.

6- Carabia Jacqueline- *Diana victrix ferarum Spectacula – I. Gladiateurs et amphithéâtres*-p 217-229 .

وحلباتها الدموية كانت دائماً تحتفظ في نظر الرومان ببعد ديني، كما يمكننا النظر إلى(damnatio)على أنه يلعب في روما دور التضحية البشرية الممنوع منذ عهد الملك نوما أمبليوس، وصحيح أنه في بعض الحالات يسمح الموت ببقاء الطوائف التي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال التضحية البشرية¹، وفي روما نفسها، ومنذ عهد ماركوس أوريليوس صار الإعدام(a damnatus) في المدرج يوفر الدم البشري الذي يستمر رشه على تمثال المشتري (Latiaris) حتى نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع الميلادي².

ليس من المستغرب أن يتذرع المسيحيون بهذه الحجة، خاصة أنه في نظر الرومان تم اعتبار عقابهم الوحشي كذبيحة بشرية مثل الانتقام الضروري المقدم للآلهة من قبل الحشد المنتصر مدرّكاً أن إله المسيحيين لن يأتي لينقذ محبيه³، وبالتالي فإن عمليات القتل الشعائرية هذه لا تخلو كذلك من الخلفية الدينية، والاندماج في ألعاب المدرج يعد جزءاً من الذبائح البشرية القديمة في روما⁴، خاصة وأن الدم يراق في المدرج، ويعتبر بالتالي حماية سحرية من أي حادث، وتعويضاً مقدماً للآلهة الغاضبة، ووسائل جذرية لتأسيس أو إعادة تأسيس طقس الإله- باكس ديوروم⁵.

لذلك يستجيب النظام القانوني للداعي الإنساني، ولا شك في أن الرومان قد استمتعوا باقتراس الحيوانات للمسيحيين⁶، وبالتالي فحسب نظرتهم تمتص الحيوانات أي خطر أو تهديد يلوّث المجتمع الروماني، والمسيحيون لديهم موقف متناقض تجاه الاستشهاد، وتريد

1- Le Glay Marcel- Les amphithéâtres *loci religiosi* In. *Gladiateurs et*

Amphithéâtres- actes coll. de Toulouse et Lattes- dir. Claude. Domergue- Ch. Landes, J.-M. Pailler- Ed. Imago-Lattes- 1990- p. 147-149.

2- Ville George- Les jeux des gladiateurs dans l'Empire chrétien - *Mélanges d'archéologie et d'histoire*. 72- 1960- p. 273-335.

3- Nagy Anna Ágnes- La forme originale de l'accusation d'anthropophagie contre les chrétiens, son développement et les changements de sa représentation au IIe siècle, *Revue genevoise d'anthropologie et d'histoire des religions*- 2007- 2- pp. 137-142

4- Clavel-Lévêque Monique- *L'Empire en jeux. Espace symbolique et pratique sociale dans le monde romain*- Editions du CNRS- Paris -1984,p 187.

5- Jean-François Géraud- *Ad bestias*- p39.

6- Waltzing Jean Paul- Le crime rituel reproché aux chrétiens du IIe siècle- Acad. Royale de Belgique- *Bull. de la classe des Lettres* 2- Bruxelles-1925- p.177.

الكنيسة المسيحية تأكيد عقيدتها، ونشر صورة الشهيد الصالح الذي يقبل الموت دون أن يطلبه، لذلك تقاطع موقفهم مع مطالب الوثنيين الرومان بالتخلص منهم.¹ وعلى العكس من ذلك، يرى المسيحيون الموت باعتباره ممراً لا يقوض فردية الشخص حتى لو كانت ظروف الشهادة غير مؤاتية، وقناعتهم أن الشهيد يتخلص على الفور من خلال التجارب والآلام والموت، ويتعذبه يدخل في اتحاد صوفي مع المسيح؛ فالألم والموت الدموي في حلبة المدرج بالنسبة للمسيحيين وسيلة للقاء الله: "دعني أكون طعاماً للوحوش" كما كتب إغناطيوس أسقف أنطاكية.²

خاتمة: في ختام هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها تتبع ظاهرة التعذيب في المدرج الروماني، ومحاولة فهم كنهها، والوقوف على أسبابها، والعوامل التي ساعدت على استمرارها وانتشارها طيلة الفترة الرومانية، ومن النتائج التي توصلنا إليها أن الحضور الطائفي لمشاهد التعذيب في كل الشواهد المادية يعد دليلاً على أن التعذيب في المدرج كان يعكس ثقافة سائدة في ذلك العصر استمرت طيلة العهد الروماني لأنها كانت جزءاً أساسياً من الترفيه الذي كان يقدم للجماهير المتحمسة التي لم تكن ترى فيه أكثر من تسلية.

وبخلاف الفكرة السائدة في الدراسات من أن التعذيب كان مسلطاً على المسيحيين دون غيرهم؛ فقد دلت معطيات المصادر التي اعتمدنا عليها على أنهم لم يكونوا الفئة الوحيدة المستهدفة، وإن كانوا الأكثر تعرضاً لها بعد ظهور المسيحية لأسباب سياسية وعقدية قبل كل شيء، ومع أن المدرج الروماني استمر في العصور المسيحية مكاناً للعرض رغم معارضة الرأي العام المسيحي، غير أن السؤال الواجب طرحه، والذي يحتاج لبحث ودراسة هو هل حافظ على وظيفته التعذيبية، وفي أي زمن توقف الرومان عن استخدامه لهذا الغرض.

1- Golvin Jean –Claude-, Landes Charles- *Amphithéâtres et gladiateurs*- Presses du CNRS- Paris-1990- p 44.

2- Golvin Jean –Claude-, Landes Charles- *Amphithéâtres et gladiateurs*- p43.